المبحث الثالث عشر

القصص القرآني- الإخبار عن العهود الغابرة-

معنى القصة في اللغة والقرآن الكريم

معني القصة في اللغة :

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[1]. أي تتبعي أثره. وقال تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[2]. أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر.

والقصّ: البيان. قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[3]... أي نبين لك أحسن البيان. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[5].

والاسم منه القصّ. والقاص من يأتي بالقصة على وجهها. لأنه يتتبع معانيها وألفاظها. أو هو قاص لأنه يقص القصص تباعاً خبرا بعد خبر.

وجمع القاص: قصاص بضم أوله. وقصّ الشئ: قطع من باب رد واقتصصت الحديث رويته علي وجهه. والقصة: بالكسر الأمر والحديث والخبر. كالقصص بالفتح، وتجمع على قصص بالكسر كعنب. وجمع الجمع أقاصيص.

(1) سورة القصص :آية 11.
(2) سورة الكهف : آية 64.
(3) سورة يوسف :آية 3.
(4) سورة الأعراف : آية 176.
(5) سورة غافر : آية 78.

والقصص بالفتح بمعني الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه[1].

ومما تقدم يتبين لنا: أن القصص معناه المتابعة كما أكد هذا المعنى القرآن الكريم. كما أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق وروايتها على وجهها. ويؤيد ذلك أن القصص بمعنى القطع. فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته. دون زيادة أو نقصان. كما أنه يمكن أن نستدل بهذا المعنى اللغوي على أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها إلا إذا قطع بصحتها. فليس فيها مجال للكذب والخيال.

وبهذا ترى أن القصة في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة. لأن القاص تتبع الأثر، وأتى به مستوعباً كل وجوه الصحة والصدق فيه.

معنى القصة في القرآن الكريم:

على هذا المعنى اللغوي جاء معنى القصة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [2]. أي الخبر الصادق. وقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [3].. ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ [4]..

فالقصص القرآني في اصطلاح العلماء بالقرآن الكريم هو: "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة" [5].

(1) يُنْظَرْ: تاج العروس 4507، الصحاح 3 / 1051والمصباح المنير 693.
(2) سورة آل عمران : آية 62.
(3) سورة الكهف : آية 13.
(4) سورة القصص : آية 3.
(5) يُنْظَرْ:القصص القرآني د. عبد الباسط بلبول :36.

وذلك كقصص آدم ونوح وإبراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ولقمان وذي القرنين إلى غير ذلك من القصص المذكور في القرآن الكريم.

أما حكاية القرآن عمّا حدث لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم مع قومه فلا يعد من قصص القرآن وذلك كغزواته وزواجه وما حدث بينه عليه الصلاة والسلام وبين أصحابه. يؤيد ذلك ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [1].

وبهذا تري أن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث به من أخبار الأمم السابقة والقرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين الخير والشر والحق والباطل.

فالقصة في استعمالات العرب وفي مفهوم القرآن الكريم تختلف عن القصة بالمعنى الأدبي الحديث. وتلك حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر، "وإذا كان الأدباء اليوم ينتزعون من الخيال أقوالا ويقولون أنها قصة فذلك أمر لا يعرفه العرب، ولا يجري على ألسنتهم، وصح لنا أن نطلق عليها أساطير مادامت لم تقع"[2].

ذلك أن القصة الأدبية في القديم وفي الحديث لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها بل كانت تعتمد على كثير أو قليل من عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه"[3].

ولعل من الضروري أن أفرق بين القصة بهذا المعنى – أعني في القرآن الكريم - وبين الأسطورة. "فالأساطير الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها جمع إسطار وإسطير بكسرهما، وأسطور بالضم وبالهاء في الكل... وسطر تسطيرا ألف الأكاذيب، قال الليث: يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف"[4].

---

(1) سورة طه : آية 99.
(2) يُنْظَرْ: القصص القرآني د. عبد الباسط بلبول 36.
(3) لقصص القرآني في مفهومة ومنطوقة 39.
(4) تاج العروس 1 / 2946.

وبهذا تري أن الأسطورة لا تطلق إلا علي الأكذوبة من الكلام، وعلى القول الذي لا يعقل كتأليف الأباطيل والخرافات.

أما القصة القرآنية فقد بنيت بناء محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه[1].

وموضوع القصة في القرآن، يشترك مع موضوعات القرآن الأخرى، في القصد إلى تحقيق الغرض الكلي الذي تنزل القرآن من أجله فللقصة في القرآن إذاً غرض أساسي، هو تحقيق المعنى الكلي الذي جاء به القرآن إلى الناس. والغرض من القصة القرآنية ثلاثة أمور:

1- إثبات الوحي الإلهي والرسالة النبوية لرسول الله (ﷺ) فلما جاء القرآن بقصص الأنبياء السابقين والأمم الغابرة، على نحو يتفق جملة وتفصيلاً مع ما أثبته التوراة والإنجيل من عرض تلك الأخبار والقصص، كان ذلك دليلاً لا يقبل الشك بأن هذا القرآن ما كان حديثاً يفترى، ولكن وحي من الله عز وجل.

ولتنبيه الناس إلى هذه الدلالة، يعّقب الله (عز وجل) على كل قصة ينتهي من عرضها بما يثير الانتباه إلى أن هذه المعلومات لا يمكن أن تكون قد أتت إلى محمد (ﷺ) إلّا من نافذة الوحي المجرد.

فهو يقول بعد عرض قصة يوسف (عليه السلام) بتفصيلها الواسع المعروف: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[2] العبرة والموعظة وتأتي في أحد مظهرين:

أ- بيان مدى قدرة الله تعالى وبالغ جبروته وسطوته، والكشف عما حاق بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك، لتجبّرها وعنادها واستكبارها على الحق.

(1) يُنْظَرْ:القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة : 40.
(2) سورة يوسف الاية:102 .

ب- التنبيه إلى أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء واحد، وأن رسالات الرسل والأنبياء واحدة لا تعارض فيها ولا اختلاف. كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [1]

2- تثبيت فؤاد الرسول (ﷺ) في مجال الدعوة، وحمله على الصبر على ما قد يراه من أذى قومه له، وبيان أن الله (عز وجل) ينصر رسله مهما نزل بهم العذاب وطاف حولهم البلاء.[2] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [3].

عناية القرآن الكريم بالقصص:

القصة كانت – ولا تزال – مدخلا طبيعياً يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم ولعل عصرنا هذا هو خير شاهد على ما للقصة من سلطان في الحياة. ومن أثر في تغيير أوضاعها وتلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية [4]. فهي ذات تأثير فعال في قيادة الجماعات البشرية في كل وقت وحين.

والدول المتحضرة اليوم تعني عناية كبيرة بأدب القصة، ذلك لما تقوم به من رفع المستوي والفكري والثقافي، والقدرة على التعبير والمتعة النفسية إذ القصة انعكاس لحياة المجتمع الذي أنتجها[5].

وإذا كان البشر يعنون بهذا النوع من الأدب. مع قصورهم في كشف سمات الواقع الإنساني، أفلا يعني القرآن الكريم – وهو كتاب الإنسانية الأكبر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – بالقصص؟ فيقص علينا حال الأمم السابقة

(1) سورة مريم الاية:34.
(2) يُنْظَرْ:من روائع القران ، محمد سعيد رمضان :221-222
(3) سورة الأحقاف من الآية 35 .
(4) ينظر :القصص القرآني :7.
(5) يُنْظَرْ: المصدر نفسه : 108.

والمجتمعات البائدة التي تتكرر أحداثها مع الزمن. ويصف عللها وأمراضها، ويعالجها بما يكفل لها الاستقرار والفلاح في الدنيا والآخرة.

وفي هذا المبحث سأحاول الإجابة علي سؤال يتردد علي الذهن هو:

لماذا عنيّ القرآن الكريم بذكر القصص ؟ فأقول:

عنيّ القرآن الكريم بذكر القصص لأغراض أهمها ما يأتي:

1- الدعوة إلى التوحيد، فلم يرسل الله رسولا قط إلا بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل، ونبذ عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1].

وكذلك الدعوة إلى أصول الديانات من البعث والإيمان بالكتب والرسل والأخلاق العامة التي لا تصلح المجتمعات بدونها[2].

2- بيان أن دعوة الرسل جميعاً واحدة، وأن الدين الذي جاء به الجميع واحد من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد ربّ الجميع، فلا عذر لمن يتخلف عن الإجابة ويتبع هواه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [3]. ويقول تعالى في قصة نوح ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ ([4].

وفي شأن صالح عليه السلام يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾ [5].

وهود عليه السلام يقول الله تعالى عنه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا

(1) سورة الأنبياء : آية 25.
(2) المرجع السابق : 109.
(3) سورة الشورى : آية 13.
(4) سورة الأعراف : آية 59.
(5) سورة هود : آية 61

لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [1].وقال تعالى في شأن شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [2].

3- إثبات الوحي والدلالة على صحة رسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، فإن هذا القصص إخبار بالغيب بالنسبة له ﷺ لأنه أميّ لم يقرأ هذا القصص من كتب السابقين. ولم يثبت أنه تعلم أو تلقي شيئاً من ذلك من أحبار اليهود والنصارى، فورود القصص في القرآن الكريم بهذه الدقة والإحكام وبلوغ الغاية في الفصاحة والبيان دليل على أنه وحي يوحي. وأن الرسول ﷺ لم يأت به من تلقاء نفسه. وقد نصّ القرآن الكريم على هذا في مقدمات بعض القصص أو في التعقيب عليها في نهايتها. قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [3]. وقال تعالى في قصة مريم: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [4].

واقرأ في هذا ما جاء تعقيباً على قصة موسى عليه السلام في سورة القصص، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [5].﴿ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [6].

إن في أخبار الرسول صلي الله عليه وسلم بهذه الغيوب الماضية وهو لم يكن حاضراً ولا مشاهداً ولا مقيما بينهم. مع انتفاء تعلمه ذلك من بشر دليل على نبوته وإثبات لرسالته ﷺ.

---

(1) سورة هود : آية 50
(2) سورة هود : آية 84.
(3) سورة يوسف : آية 3.
(4) سورة آل عمران : آية 44.
(5) سورة القصص : آية 44.
(6) سورة القصص : آية 45، 46.

4- التأسي بأولي العزم من الرسل فيما لا قوه في سبيل الله والدعوة إليه من الأذى والاضطهاد، وهم مع ذلك ثابتون على مبدئهم القيم ودينهم الحق، لم يعترهم وهن ولا ضعف ولم تفتر لهم همة، ولم يخالجهم شك إلى أن قضي الله أمره وأنجز لهم وعده. فنوح عليه السلام سخروا منه وقالوا له: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1]. وهود عليه السلام قالوا له: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [2]. و استهزأوا بشعيب عليه السلام وقالوا له: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [3]. وعيسى عليه السلام أرادوا أن يقتلوه. قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [4].

5- تسلية النبي ﷺ وتثبيت فؤاده وتقوية عزيمته رغم ما يلاقي من أذي واضطهاد، فما يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله، وإن يكذبوه فقد كذبت رسل من قبله فصبروا علي ما كذبوا. قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [5]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [6]. وفي هذا أيضا تثبيت – كذلك – للمؤمنين. وغرس الثقة في نفوسهم وتسليتهم عما أصابهم، بما آلت إليه حال المؤمنين السابقين وحال الكافرين.

6- إعلام النبي ﷺ وإعلام المسلمين بأحوال الأنبياء والأمم السابقين لتكون لديهم الحجة لمعارضة أهل الكتاب في تحديهم وتعنتهم كما قال تعالى: (قُلْ فَأْتُوا۟ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [7]. وقد تؤدي هذه المحاجة إلي إيمان بعض

(1) سورة الأعراف : آية 60.
(2) سورة الأعراف : آية 66.
(3) سورة هود : آية 91.
(4) سورة النساء : آية 157
(5) سورة هود : آية 120.
(6) سورة الأنعام : آية 34.
(7) سورة آل عمران : آية 93.

الناس[1]. وكذلك دفع تعنتهم في أسئلتهم التي كانوا يريدون بها تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم.

7- في القصة القرآنية دلالة على قدرة الخالق، من حيث الإعطاء والمنع والإنجاء والإهلاك وخلق خوارق العادات كخلق أدم وقصة مولد عيسى عليه السلام وقصة إبراهيم والطير وعصا موسى ويده التي يدخلها في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين من غير مرض، وإبراء عيسى للأكمه والأبرص، وإحياؤه الموتى بإذن الله وإخراجه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكذلك ناقة صالح التي جعلها الله له آية، وإماتة الله رجلا مائة عام ثم بعثه إلى غير ذلك من الخوارق التي تدل على قدرة قادرة، وتدبير إلهي حكيم.

8- العظة والعبرة لكل من الفريقين – المؤمنين والكافرين – فقد اشتملت القصة القرآنية على كثير من العظات والعبر التي تؤثر في النفوس وتدفع الكافرين إلى الإيمان لئلا يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم أو يحل بهم من العذاب العاجل مثل ما حلّ بقوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط[2]. وتدفع المؤمنين لزيادة التمسك بدينهم،، والتفاني في نشر تعاليمه، وتحمل الأذى في سبيله، لينالوا من النعيم ما أعد لهم ولأمثالهم السابقين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[3].

9- بيان عاقبة التقوى والصلاح. وعاقبة الشر والفساد كقصة ابني أدم وقصة صاحب الجنتين. وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم. وقصة سد مأرب. وقصة أصحاب الأخدود إلى غير ذلك من القصص.

10- بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى فكانت ترد حلقات من قصص

(1) يُنْظَرْ:اللآليء الحسان في علوم القرآن: 317.
(2) يُنْظَرْ:اللآليء الحسان في علوم القرآن: 317.
(3) سورة يوسف : آية 111.

هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى ويكون إبرازها هو الغرض الأول، وما سواه يأتي في هذا الموضوع عرضا[1].

11- إثبات عقيدة البعث والجزاء ورفع الشك عنها ويبدو ذلك واضحاً جليا في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]. وقصة بقرة بني إسرائيل: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، وقصة أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾[4]. وقصة الألوف من بني اسرائيل الذي خرجوا حذر الموت، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[5].

القصص القرآني ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء: ويتضمن دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين – أمثال قصة نوح وإبراهيم وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين – وغيرهم من الأنبياء والمرسلين من أقوامهم.

(1) يُنْظَرْ:التصوير الفني في القرآن: 125.
(2) سورة البقرة : آية 259.
(3) سورة البقرة : آية 73.
(4) سورة الكهف : آية 21.
(5) سورة البقرة : آية 243.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة الفيل وأصحاب الجنة.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران والأنفال وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب وحادثة الإسراء والمعراج في سورة الإسراء.

منهج القصة في القرآن وخصائصها:

تمتاز القصة القرآنية بمنهج وخصائص تختلف عن القصص الفني الطليق من جوانب متعددة، سنوضحها من خلال الآتي:

أولاً: منهج القصة القرآنية

يقوم منهج القصة في القرآن الكريم على الآتي:

1- التكرار:

إذا نظرنا في القرآن نجد أن القصة الواحدة تكررت مرات عديدة مثل قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل أو قصة نوح عليه السلام مع قومه، أو قصة خلق آدم، لكن هذا التكرار لا يعني بالضرورة التطابق في المضمون والتفعيلات (الأحداث)، فقد يكون تقديم وتأخير أو إيجاز وإطناب، فكل قصة لها إطارها الخاص بها حسب موقعها في السورة يختلف تماماً عن الموقع الآخر التي ذكرت فيه حسب ما يقتضيه الحال بنمط وأسلوب يجذب القارئ ويُشعره بجديد يطرد السآمة والملل وهذا ما امتاز به الأسلوب القرآني عن الأساليب الأخرى [1].

2- الاقتصار في حوادث القصة على الغرض الديني:

القصة القرآنية لم تسرد حوادث القصة ووقائعها سرداً تاريخياً ولم تتطرق إلى الجزئيات فيها خوفاً من الإطالة والابتعاد عن مغزى وهدف القصة الديني ومثال ذلك ما قصه علينا القرآن الكريم في سورة الكهف عن الفتية الذين آمنوا بالله رباً

(1) يُنْظَرْ: علوم القرآن د. عدنان زرزور: 382 .

وفروا من الكفر، فلم يذكر القرآن أسماء هؤلاء الفتية ولا البلد التي كانوا فيها ولا عددهم ولا نوع العملة التي كانوا يتعاملون بها، إلى غير ذلك من الجزئيات التي لا يضرّ الجهل بها ولا يفيد العلم بها. وإنما يكتفي ببيان العبرة والغرض الديني وهو تحقيق الهداية في حياة الناس.

3- **التزام الصدق وبيان الحق في عرض أحداث القصة:**

القصص القرآني ليس من نسيج الخيال بل هو من الواقع الذي يحياه الناس فهو من لدن حكيم عليم خبير بحياة الناس، لذلك فهو قصص لأحداث تاريخية موافقة للواقع الذي عاشه الناس بصورة بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة التي تُنمِّي ملكة الضمير عند القارئ للقرآن الكريم.

4- **العبر والعظات والنصائح بين ثنايا القصة:**

يفصل القرآن الكريم بين أجزاء القصة بفواصل من العبر والعظات تنبه القارئ إلى الهدف المنشود من وراء هذه المباحث ومن ثم تربط على قلب الإنسان برباط الخشية والمراقبة الإلهية، فتنمو ملكة الضمير وبالتالي تصلح أعمال الإنسان في هذه الحياة.

ومن أجل ذلك لم نجد في القرآن فصولاً خاصة بالتشريع وأخرى خاصة بالحديث عن علم الغيب كالجنة والنار أو ما يتعلق بعلم الساعة وعالم الملائكة أو العوالم الأخرى.

ثانياً: خصائص القصة القرآنية أوضحنا أن للقصة منهجاً خاصاً بها، فمن الطبيعي أن يكون لها خصائص تمتاز بها عن سائر القصص الأخرى، ولقد أوضح سيد قطب هذه الخصائص في كتابه "التصوير الفني في القرآن" [1] نلخصها في الآتي:-

1- **العرض التصويري:**

(1) يُنْظَرْ: التصوير الفني في القرآن: 148-155 .

الأسلوب القرآني في طرحه للقصة لا يطرحها بمجرد ذكر للإخبار عن أحداثها، ولكنه يصور هذه الأحداث وكأنها أشخاص مفعمة بالحياة تنطبع في ذاكرة القارئ أو شريط حي يرتسم على مخيلة السامع أو القارئ بريشة التصوير المبدعة التي تجعل من القصة حدثاً يقع ومشهداً يجري لا قصة تروى ولا أحداثاً قد مضت عبر التاريخ.

2- التنوع في الاستهلال بالقصة:

لقد اختلفت الاستهلالات بين قصة وأخرى في القرآن الكريم وذلك لشد انتباه القارئ فقد تبدأ القصة بالأمر كقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [2]، وأحياناً بالسؤال كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[6]، وتارة أخرى تبدأ بالتقرير والإتيان بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [7].

3- التنويع في طريقة المفاجأة:

يتضح الأسلوب القرآني البديع من خلال تنويعه للطريقة التي يطرح فيها المفاجأة في القصة حيث تأخذ الأشكال التالية:-

أ- يكتم سرّ المفاجأة عن شخصيات القصة وعن القارئ وفي مرحلة متأخرة من القصة يكشف لهم عن سرّ المفاجأة كما حدث في سورة الكهف أثناء عرضه لقصة موسى مع الخضر عليهما السلام.

---

(1) سورة الشعراء – الآية 69 ، 70 .
(2) سورة المائدة – الآية 27 .
(3) سورة الذاريات – الآية 24 .
(4) سورة النازعات – الآية 15 .
(5) سورة الغاشية – الآية 1 .
(6) سورة الفجر – الآية 6 .
(7) سورة طه – الآية 36 .

ب- يكشف أحياناً بعض السرّ في القصة الواحدة، وخير مثال على ذلك عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة عين ثم إسلام بلقيس في نهاية المطاف بعد أن رأت صرحاً ممرداً من قوارير فجاء قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] .

ج- ومرة أخرى يكشف السرّ في مطلع القصة ومنذ اللحظة الأولى وخير مثال على ذلك قصة أصحاب الجنة في سورة القلم: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2] .

4- تنوع طريقة العرض:

نشاهد في القرآن الكريم أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة وهي كالآتي:

أ- يذكر ملخصاً للقصة في بدايتها ثم يعرض التفصيلات مثل قصة أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [3] ثم يبدأ بتسلسل الحديث عن أحداث القصة.

ب- يذكر الهدف والمغزى من القصة ثم يبدأ بالقصة من أولها إلى نهايتها وخير مثال على ذلك قصة يوسف عليه السلام التي بدأها بالرؤيا ثم أخذ بالتفصيل عن أحداث القصة.

ج- يذكر أحياناً القصة مباشرة بدون مقدمة أو تلخيص ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يُغني عن تلك المقدمات كما جاء في قصة مريم ومولد ابنها عيسى عليه السلام، ومثل قصة سليمان عليه السلام وحديثه مع النمل والهدهد وبلقيس.

---

(1) سورة النمل – الآية 44 .
(2) سورة القلم – الآية 17-20 .
(3) سورة الكهف آية : 9 .

د- يجعل في أحيان أخرى القصة على شكل تمثيلية مثل قصة إبراهيم وحواره مع قومه عند تكسيره للأصنام وحواره مع ولده إسماعيل عندما أُمر بذبحه ثم تعاونهما في وضع القواعد للكعبة المشرفة.

أهداف القصة:

الإطلاع على القصص في القرآن الكريم له فوائد كثيرة ومتعددة نوجزها في الآتي:-

1- بيان أسس الدعوة إلى الله، وتوضيح أصول الشرائع السماوية التي بُعث بها كل رسول، وبيان أن دعوة الأنبياء واحدة في أصول العقائد مثل الإقرار بوحدانية الله وعدم الإشراك به، وأن الأنبياء والرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام جاءوا بكلمة واحدة، وهي كلمة "لا إله إلا الله" وقضية واحدة هي ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ وهي قضية العبودية لله وحده دون شريك له في الملك والألوهية والحاكمية والتشريع قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [1].

2- تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقلوب الأمة الإسلامية على دين الله والعمل على زيادة ثقة المؤمنين بنصرة الحق وأهله وخذلان الباطل وأعوانه وتأتي القصة القرآنية للتسرية عن قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين عندما يلقون العنت والتشريد والعذاب بسبب إيمانهم فيعرض عليهم قصص الأمم السابقة ليعلموا أن المؤمنين من قبلهم لقوا من العذاب ألواناً، فصبروا على عقيدتهم حتى أتاهم النصر في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [2].

3- بيان العبرة والعظة: لقد ذكر الله سبحانه قصص الأمم الماضية وأخبارهم وما حاق بهم من العذاب والهلاك نتيجة لتكبرهم على الحق وتكذيبهم للرسل وعنادهم وتجبرهم في الأرض بغير الحق وأوضح الحق تبارك وتعالى قدرته في استئصال

(1) سورة الأنبياء – الآية 25 .
(2) سورة غافر الآية 21 .

المعاندين المكذبين ليكونوا عبرة لمن سيأتي من بعدهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [1].

4- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء لدعوتهم وبيان لنعمة الله عليهم مثل قصة سليمان وداود وأيوب وإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويونس حيث كانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تظهر نعمة الله عليهم في كثير من المواقف.

5- إثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله من آدم عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة ففي سورة الأنبياء مظهر واضح لوحدة الرسالة فقد تحدثت السورة عن قصص الأنبياء فذكرت طرفاً من قصة موسى وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل ثم عقّبت على ذكرهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [2].

6- إظهار صدق النبي ﷺ في دعوته وأنه نبي يوحى إليه فقد أشار الحق تبارك وتعالى عقب كل قصة من عرضها بما يثير الانتباه إلى هذه المعلومات أنها لا يمكن أن تكون من محمد ﷺ لأنه لبث فيهم أربعين عاماً، ولم يذكر لهم عنها شيئاً كقصص الأنبياء أو الأمم السابقة وأنه ﷺ لم يذهب إلى أحبار اليهود ورهبان النصارى ليأخذ عنهم أخبار الأنبياء والأمم السابقة وإنما هي وحيٌ من عند الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [3].

7- القصص القرآني يكشف عن الزيف والتحريف الذي قام به أهل الكتاب، ويوضح ما كتموه من البينات والهدى ويتحداهم بكشفه عما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل من الحقائق قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا

(1) سورة الكهف الآية 59 .
(2) سورة الأنبياء الآية 91 .
(3) سورة آل عمران الآية 44 .

حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (1).

(1) سورة آل عمران الآية 93 .